



سُلْطَنَةُ عُومَانِ
وَزَارَةُ الْبَرَاثَةِ الْقَوْمِيَّةِ وَالْثَّقَلِيَّةِ
سِلْسِلَةُ الدُّرَرِ

مِنْ أَعْمَالِ عُومَانِ

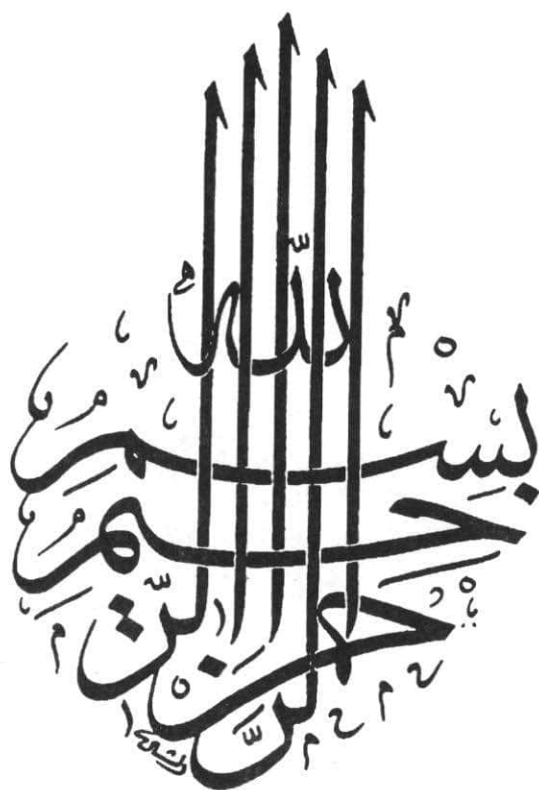
صُورٌ مُشْرِقَةٌ مِنْ حَيَاةِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ

تَأْلِيفُ
السَّيِّحِ الدُّكْتُورِ
هَسَّالِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الصَّوْلَانِيِّ

العدد الثاني

الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م





قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ
مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ
يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ».

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ
سُورَةُ الْأَحْزَابِ
آيَةٌ - ٢٣

تقديم

بقلم: الشيخ
أحمد بن سعيد الشيباني

يعتبر الامام ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي العماني واحدا من اولئك الرواد العظام الذين وهبوا حياتهم للاسلام وللعلم فهو لم يكد يلبس طوق الشباب حتى شد الرحال وضرب اكباد الابل ميمما وجهته صوب الحجاز ليحط الرحال في مدينة الرسول ﷺ ملقيا بركبته امام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم الذين كانوا اوعية علم مدرسة النبوة .

ولقد ساعد ابا الشعثاء ما وهبه الله اياه من قوة الذاكرة ودقة الملاحظة والمعية الفكر على استيعاب كثير من العلم عن صحابة الرسول ﷺ فنال اعجابهم وثنائهم فانها لت عليه شهادات الشاء والتقدير والاعتراف بعلمه من اشياخه كعبد الله بن العباس حبر الامة وترجمان القرآن ، وعبدالله بن عمر كما نال اعجاب زملائه كبار التابعين كالحسن البصري وابن سيرين وقتادة وغيرهم .

وقد جاء عمل الامام جابر حاسما للخلاف الذي كان يدور بين الصحابة والتابعين حول مشروعية تدوين العلم وتقييده بالكتابة فالف ديوانه الضخم المعروف «بديوان جابر» وهو بهذا يعتبر أول من ألف في الاسلام .

حول العديد من النقاط عن حياة الامام أبي الشعثاء وفكره يأتي بحث
استاذنا الدكتور / صالح بن أحمد الصوافي موضعا لتلك النقاط ومبرزا
لابعادها العلمية والفكرية والسلوكية والدكتور الصوافي ليس غريبا عن
هذا الامام العظيم فهو على طريقته مذهباً وعن شخصيته وعلومه
باحثاً فقد ربطته به رسالة الماجستير التي اعدّها عن هذا الإمام .

فهو جابري الهوى مذهباً وبحثاً .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه والتابعين لهم باحسان .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، الحكيم في أمره ، سبحانه دبر الأمور بحكمته،
وقدر الاقدار بقدرته، فتدور الأيام بإرادته.

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وإماماً للمرسلين،
وسراجاً للمهتدين، فبلغ الرسالة، وادى الامانة، ونصح الأمة، وكشف
الغمة، وعلى آله وصحبه، دعاة الحق، الذين عزروه ونصروه، واتبعوا
النور الذى انزل معه، وعلى من اتبعهم باحسان إلى يوم الدين.

أما بعد :

فالناظر إلى التاريخ العماني، يجد ابعاده الحضارية، وآفاقه الثقافية، ذلك
لانه تاريخ ناصع البيان ، قائم على أسس ثابتة الأركان ، قوية البنيان .

ولقد كان بناء ذلكم التاريخ وصانعه، قد ادركوا مهمتهم في
حياتهم، وواجههم تجاه إسلامهم وأوطانهم، ومجتمعاتهم، فسخروا جميع
طاقاتهم وقدراتهم وعطاءاتهم فيما فيه النفع للبشرية جمعاء، ولم يقتصر ذلك
الاهتمام المتواصل منهم في مجال واحد من مجالات العلم، أو إبداع معين
من الابداعات الفكرية، وانما سخروا جميع إهتماماتهم في مختلف المجالات
العلمية والفكرية والتربوية والمعمارية والفقهية، والاجتماعية، والتاريخية.

ولقد عرف العمانيون منذ ان شاء الله لهم أن يوجدوا على ظهر هذا
الكوكب الأرضي، وعلى هذه التربة الزاكية، وهم جهد متواصل وبناء
متكامل.

عرفوا قبل الإسلام بإبائهم وشممهم وفهمهم وعروبتهم، فكان فيهم المفكرون، والشعراء المجيدون، وعرفوا بعد بعثة النبي - ﷺ - بإيمانهم بالله وتصديقهم لرسالته، ونبذهم للعقائد الفاسدة، وتخليهم عن موروثات آبائهم التي ما نزل الله بها من سلطان.

آمنوا بالإسلام عن طواعية من انفسهم، وذلك دليل على سلامة فطرتهم، ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^(١) اهتدوا بهدي الله، وساروا على منهاجه، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

واعتقد - أيها القارئ الكريم - أن ما قلته في هذا التمهيد، ستتضح لك معانيه، وتتجلى لك مبادئه، عندما تقرأ سيرة أئمة اعلام، وحماة للإسلام، حملة معارف شتى. سخروها في خدمة قضايا أمتهم ومجتمعهم، فمنهم من هاجر من عمان، ضارباً أكباد الابل إلى منابع الإسلام الأولى - من أجل العل منها، والإرتواء من حياضها، ثم عاد إلى بلده فاتحاً لمدرسة فقهية أو علمية، موجهها مجتمعهم من حلقات تلك المدرسة، مصححاً لمساره، منوراً لقلوب أبنائه، مبيناً لهم مافيه صلاحهم وسعادتهم.

ومنهم من هاجر بعد ذلك إلى المراكز العلمية، التي اشرق نورها وشاع بين الاسماع صيتها، فتعلم وعلم والى واحكم.

ومنهم من قاد أمتهم لما رآها يهددها الخطر، ويتهددها الشر.

ومنهم من صرف عنانه وسخر قلمه في التوجيه والتأليف، وبيان ماهو نافع من علم شريف، وطرح ماهو تحريف وتصحيف، فاثري المكتبة

(١) سورة الروم آية ٣٠

الإسلامية بمؤلفاته وكتاباتاته ، والله يهب ما يشاء من الحكمة لمن يشاء من عباده .

ومن بين هؤلاء الصفوة أئمة مرضيون ، وفقهاء ناهون ، كانت جميع حياتهم تجسيدا علميا وعمليا ، إخترت منهم في هذا العدد شخصية تابعي جليل ، هو الإمام جابر بن زيد الأزدي نسباً ، العماني نشأة ، لما يتمتع به هذا الإمام من مكانة علمية وإجتماعية ، لأنه - رحمه الله - ثقة معتبرة عند جميع الاباضية كما هو ثقة عند غيرهم .

وسيدور بحثنا عن شخصية هذا الامام في المباحث التالية :

المبحث الأول : جابر بن زيد مولداً ونشأة .

المبحث الثاني : هجرته العلمية .

المبحث الثالث : مكانته العلمية .

المبحث الرابع : حياته العملية

المبحث الخامس : من آثاره الخالده .

المبحث السادس : جابر بن زيد في ذمة الله .

والله اسأل ان يجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم .

دكتور حبّال بن أحمد الصوافي

المبحث الأول

جابر بن زيد مولداً ونشأة

هو ابو الشعثاء^(١) جابر بن زيد الازدي الجوفي البصري من قبيلة
اليحمد الازدية في عمان، صحب ابن عباس وكان من بحور العلم^(٢)
وقد عرف بالجوفي نسبة الى مقر نشأته ، وذلك في بلدة فرق لان هذه
البلدة تقع في منطقة تعرف باسم الجوف من عمان .
وقد اخطأ بعض المؤرخين في نسبته الى الجوف جوف (الخميلة) وهو
مكان بالبصرة^(٣)

ولعل هذا الاسم في البصرة عرف بعد ان استقر الازد في ذلك المكان
فسموه باسم المنطقة التي جاءوا منها^(٤)

وكان مولد الإمام جابر بن زيد في تلك القرية من المنطقة الداخلية
المعروفة في وقتنا الحاضر، وهي إحدى المناطق الزراعية ، التي توجد فيها
التربة خصبة ، والزراعة نامية . والمحاصيل وافرة، وجوها معتدل في
اغلب اوقات السنة : يعلوها (الجلب الأخضر) ويتميز هذا الجبل باعتدال
المناخ ووفرة الثمار، وكثرة الخيرات .

(١) الشعثاء ابنته وهو يكنى بها لذا ورد ذكره بهذه الكنية في مختلف الكتب منها تهذيب التهذيب ص ٣٨ ومنها طبقات
الشايع ج ٢ ص ٢٠٦ وقبر ابنته ما يزال معروفا في بلدة فرق من أعمال ولاية نزوى .

(٢) الاعلام للزركلي ج ٨ ص ١٠٤

(٣) الهامش على تهذيب التهذيب ص ٣٨ ج الطبعة الأولى .

(٤) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٦ الطبعة الأولى .

في تلك المنطقة الخضراء كان مولد جابر بن زيد وبدا حياته .

وتذكر كتب السير ان مولد الإمام جابر كان فيما بين عامي ١٨-٢٢ هجرية ^(١) على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام .

ولم تجمع المصادر التاريخية على تحديد سنة مولده ، وانما ذكرت تواريخ عدة ، تتراوح ما بين التاريخين المذكورين ، ولكنها مجمعة على نسبة مكان مولده ونشأته ، فهو عماني المولد والنشأة ، أزدي النسب ، وكان مولده - كما بينا - في بلدة (فرق) التي كان لأهلها سابقة في الإسلام ، ولهم بين دعائه وحماته مكانة .

ولاتورد المراجع شيئاً يذكر عن نشأته الأولى . . كيف قضى فترة طفولته وصباه . . ؟ وأين وكيف تلقى علومه الأولى ؟ ومتى غادر بلده (فرقا) وعشيرته الأزدي وأرضه عمان ؟

ومع ذلك فقد يجوز لنا أخذاً بالشواهد ورد المسببات إلى أسبابها بحكم الواقع والظروف ان نقرر مايلي :

أولاً : ان جابر بن زيد نشأ نشأة ليس فيها الترف المفرط ولا الحاجة الملحة . . فهو من قبيلة ذات قوة وشمم ، وكان مولده في اقليم اشتهر بالخصب ، ووفرة الخيرات العادية والعيش الكفاف دون بهرجة أو اسراف .

ثانياً : إن حياة جابر واهله كانت تقتضي منهم العمل وبذل الجهد دون أن

(١) البرادي (الجواهر) ص ٥٥ والعقود الفضية للشيخ / سالم بن حمد الحارثي ص ٩٣

يركنوا إلى ترف أو خمول فالأرض لا تثمر إلا لمن يرعاها والحياة لا تتوفر إلا لمن يعمل..

وتذليلاً على ماتقدم، فإن جابراً لا بد أن يكون قد عرف في صباه حياة العمل، وشارك أهله في زراعة الأرض وفي سائر ما يمتنون من أعمال تتصل بذلك، وكانت تلك الفترة من حياته فترة إعداد وتكوين، ولعل هذه الفترة هي التي اكتسبته ضرورة الاعتماد على النفس، وجعلته يدرك أن العمل المثمر هو الذي يقوم على حسن التدبير وكمال الإعداد ودوام الرعاية.

ثالثاً : لعله تلقى في هذه الفترة من حياته مبادئ القراءة والكتابة حتى اتقنها، كما لا بد وأن يكون قد ألم بالكثير من المعارف الدينية وبعض الأمور الفقهية، نتيجة لحفظه جانباً من القرآن الكريم.

ومن المعروف عن جابر بن زيد - كما سيتضح ذلك من سيرة حياته فيما بعد - أنه كان فطناً شديداً الذكاء وقاد البصيرة واسع الأفق.. وهذا يدعونا إلى القول بأنه لا بد وأن يكون قد حصل في هذه الفترة من حياته على جانب كبير من العلوم الدينية.

المبحث الثاني

جابر بن زيد وهجرته العلمية

لقد هاجر الإمام جابر بن زيد - رضى الله عنه - الى البصرة، إذا فما الذي دعاه الى ان يهاجر إليها ولم يكن يشكو فاقة في بلده، أو يقاسي شظفا في عيشه؟ لم يكن واقعه الى ذلك إلا للمزيد من المعرفة، والرغبة الصادقة في التبحر في العلم، والتزود بكل المعارف التي تصلح بها امور دينه ودنياه، وكان اول نزوحه الى البصرة حيث اتخذها له دار مقام - وشاركه فيها بعض اهله - ومن البصرة مضى الى الحجاز - لنفس الغاية - وظل لفترة طويلة يتردد ما بين البصرة والحجاز.

ولاتذكر المراجع التاريخية سنة نزوحه من عمان - إلى البصرة، ومع ذلك فمن المرجح أن ذلك كان في صدر شبابه.. بعد أن بلغ أشده. واكتملت رجاحة عقله، وازداد نهمه الى مزيد من المعارف، بعد ان حصل منها في موطنه القدر الذي يجعله يطمع في المزيد، ويدفعه الى البحث عن منابع اخرى، تشبع رغبته، وتروي ظمأه.

قال العلامة الشماخي : «جابر بحر العلم، وسراج الدين، اصل المذهب واسه، الذي قامت عليه آظامه» خرج جابر في شبابه من وطنه «فرق» من اعمال نزوى .. فسكن البصرة طالبا للعلم^(١).

(١) العقود الفضية ص ٦٣

وفي البصرة كان مقام جابر بن زيد، وكان تلقيه فيها لكثير من المعارف الاسلامية، والعلوم المختلفة، وخاصة مايتعلق منها بعلوم القرآن والحديث ومايتصل بهما، ولا بد أن يكون قد اكمل حفظ القرآن جميعه، قبل ان يتهياً للرحلة الى الحجاز، ولم يكتف بالدراسة في «البصرة» بل اتخذها مقراً له ينشر فيها العلم، ويقوم بالتدريس والتأليف، ويهتم بشؤون المسلمين، وكانت قضية الخلافة من القضايا التي مرت عليه ودرسها دراسة مستفيضة وعميقة، وانتهى منها الى رأى ثابت مبنى على روح العدالة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة والسلام، ومستنداً على سيرة السلف الصالح من الصحابة الاجلاء (١).

اما في الحجاز فقد كان مقامه لفترات عديدة، وكان حرصه يدفعه الى اطالة المكث بين الصحابة - رضوان الله عليهم - حيث تلقى كثيراً من العلوم عنهم، واذا كان هو دافعه الى النزوح من موطنه الأصلي في عمان الى البصرة، فان هذا الحب نفسه هو الذي كان يدعوه لعدم الاستقرار في البصرة طويلاً. . وكيف له ان يستقر بها بعد ان لقي عدداً من كبار الصحابة في المدينة المنورة وصحبهم وصاحبهم، وتلمذ عليهم واخذ عنهم، ودارسهم الحديث ورواه عن جماعة منهم، ومن هنا تعددت رحلاته الى الحجاز. . حتى ليروى انه كان يرتحل سنوياً الى «مكة»

وربما كان ذلك في موسم الحج وهناك كان يلتقى بابن عباس وغيره من كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - فمن كانوا له شيوخاً ومعلمين.

(١) الاباضية في موكب التاريخ - الحلقة الاولى ص ٦٢ الاستاذ علي مجيى معمر .

وهكذا يتبين لنا انه - رحمه الله - نذر حياته منذ مطلع شبابه للتعليم والتعلم والدرس والتحصيل، وتلقى العلم من منابعه الاصلية، وانه لم يألو في ذلك جهداً، وظل على هذا الحرص الشديد، فشهد له عدد من كبار الصحابة وغيرهم بالمكانة العلمية الرفيعة، وبالاصاله بالفتيا في الدين ورواية الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ .

وتصف كتب الطبقات : جابر بن زيد بانه «بحر العلم العجاج وسراج التقوى، ناهيك به من سراج، اصل المذهب واسه الذي قام عليه نظامه، ومنازل الدين ومن انتصبت به اعلامه، صاحب ابن عباس - رضى الله عنهما - وكان امهر من صحبه، وقرأ عليه، وكان مقدما معه يشار إليه في الفتوى . . وقد ورد أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : اسألوا جابر بن زيد، فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه . . (١)

وكان لجابر بن زيد المكانة العليا مع ابن عباس - رضي الله عنهما - (٢)

فكيف وصل جابر إلى هذه المكانة . ؟ وكيف تمكن من أن يعد نفسه اعداداً علمياً حتى بلغ تلك المنزلة . ؟

كان جابر - كما بينا - محبا للعلم منذ صغره - متشوقاً للمعرفة . . وقد رحل في مطلع شبابه الى البصرة ليتزود بعلوم القرآن والحديث وما يتصل بهما - كما أشرنا سابقا - كما ذهب إلى الحجاز - واقام بين الصحابة -

(١) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، بالمغرب ج ٢ ص ٢٥

(٢) العقود الفضية ص ٩٥

مرات عديدة ولفترات طويلة، وقد اتاح له ذلك ان يتلمذ على ايدي الكثير من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين .

ومن أهم - الصحابة - الذين أخذ عنهم جابر العلم : عبدالله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وابو سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم ^(١) ولانجد ضرورة لتوضيح مكانة هؤلاء الصحابة الأجلاء في الدين، والفقه والعلم بالقرآن والتفسير والحديث، حتى ليؤخذ باجتهداهم . .

وهكذا كانت صحبة جابر بن زيد لهؤلاء الصحابة، وأخذ العلم والفقه عنهم، هي الاساس الذي استمد منه العلم بالدين، والبصر بالحديث . وكذلك كان جابر بن زيد يلتقى بأمر المؤمنين : عائشة رضى الله عنها - ويأخذ عنها العلم ويسألها عن سنة الرسول ﷺ، ويناقشها في كثير من المسائل مما يتعلق بحياة رسول الله - ﷺ - الخاصة والعامة .

فقد ورد عن إبي سفيان محبوب بن الرحيل : قال : دخل جابر بن زيد على عائشة - رضى الله عنها - قال : فأقبل يسألها عن مسائل لم يسألها عنها من قبل - حتى لقد سألها عن جماع النبي - ﷺ - كيف كان يفعل ؟ وإن جبينها يتصبب عرقا، وتقول : سل يا بنى : ثم قالت له ممن انت ؟ قال من أهل المشرق، من بلد يقال لها عمان قال العلامة أبو اسحاق معلقا على ذلك : المراد انه سألها عن مقدمات الجماع التي يجوز السؤال عنها، حرصا

(١) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٤ وإزالة الوعاء عن اتباع أبي الشعثاء ص ١٨ .

منه رضى الله عنه على نقل السنة وجمعها ، لكي يكون المسلم مقتديا برسول الله - ﷺ - في كل اعماله دقيقها وجليلها .^(١)

قال في شرح النيل : وقد سأل جابر بن زيد رحمه الله عائشة رضى الله عنها عن مسائل لم يسألها عنها أحد ، حتى سألها عن جماع رسول الله - ﷺ - .

ونورد هنا كلاما آخر للعلامة ابي اسحاق معلقاً على هذه الرواية بقوله : اعلم أن هذه الرواية قد ردها الشارح رضى الله عنه في غير هذا الكتاب ولا يبعد أن يكون ذلك في تفسير (التيسير) واحتمل لصحتها ان الامام ابا الشعثاء كان يسألها عن مقدمات الجماع ، لأن الجماع نفسه لا يجوز السؤال عنه ، ولا الإخبار به ، فكيف يسأل عنه الإمام أم المؤمنين .؟ ورجح بطلانها . قلت : لا يصح أن يكون هذا السؤال عن الإمام جابر بن زيد مع جلالة علمه ومكانته في الدين ، نعم هو على أشد ما يكون من الحرص على جمع السنة النبوية لان اعماله (ﷺ) وافعاله تشريع لأمته ، لكنه لا يصح ان يسأل عائشة - رضى الله عنها - وجبينها يتصبب عرقاً حياً على كيفية جماعه (ﷺ) ، ولا شك أن ذكر البدر الشماخي رحمه الله لها للاحتمال المذكور .

والرواية عن إبي سفيان محبوب بن الرحيل - رحمه الله - التي ذكرناها من أئمة الطبقة الثالثة من التابعين وهو ثقة محدث مشهور ، ذكرها شمس

(١) راجع الهامش في كتاب «تحفة الاعيان» ج ١ ص ١٠

الدين أبو يعقوب في ترتيب المسند الصحيح ، وإذا تأملت وانت على ذكر من ورع أصحابنا وتثبتهم ، رأيت أن الرواية ذكرها هؤلاء الثقات الكبار ، على التأويل الذي جرى عليه القطب ولا يصح خلافه فاحذر القيل والخطأ في حق الائمة الثقات الذين لا يحرموا أدنى شائبة الريبة .

ولنا في هذه المسألة كلام بسيط في ذكر ابي الشعثاء وذكر القطب لها هكذا إجمالاً ، اما إتكالاً على ظهور الاحتمال ، وإما سهواً وجل من لا يسهو . ولقد تمسك بها بعض المخدولين ، وظنّها سهماً صائباً وجهه نحو الإمام ابي الشعثاء أمام أهل الإستقامة ، ومادري أنه مسه طائف من الشيطان . فاستزله عن منهاج الرحمن ، ولو اصطحب معه تقرير السلف وحرصهم على الدين واصل التّشريع ، لكفى نفسه الائمة مؤنة القدح ، في إمام اجمعت الأمة على توثيقه .^(١)

وكان على رأس الصحابة الذين أخذ عنهم جابر بن زيد العلم كما سبق أن ذكرنا عبدالله بن عباس ، المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن ، وهو من أجلة الصحابة الذين شرفوا بصحبة رسول الله - ﷺ - ونقلوا عنه سيرته العطرة ، وسنته الشريفة .

وكان جابر كثير الملازمة لابن عباس والتلمذ عليه ، وكان الود والتقدير متبادلين بين الإستاذ والتلميذ . حتى لنجد ابن عباس يقول : لو أن أهل البصرة نزلوا على قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً عما في كتاب الله^(٢) .

(١) الهامش على شرح كتاب النيل الجزء التاسع ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .

(٢) البخاري - التاريخ الكبير ج - ١ - ق ٢ ص ٢٠٤ - وأيضا كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٨٥ .

المبحث الثالث مكانته العلمية

لقد بلغ من العلم والمكانة ، مأهله لأن يعتبر أحد التابعين الفقهاء ، الذين تؤخذ عنهم الفتيا ، كما يتلقى عنهم العلم بأمور الدين . وكيف لم يكن كذلك ؟ وهو يقول : « ادركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم من العلم الا البحر » ^(١) وإذا كان هذا الامام قد استطاع بما اوتي من جهد وذكاء وهو ان يجمع علم سبعين بدريا فانه ليس غريبا ان يكون جمع من علم بقية الصحابة - رضوان الله عليهم - مالا يبلغه الحصر ، لكثرة عددهم ؛ وسهولة الاخذ عنهم ^(٢)

وقد سار جابر في حياته العلمية سيرة الرجل الورع ، الذي لا يبغي غير مرضاة الله .

وقد رويت عنه وقائع واحداث ، وكانت له آراء في الدين ، تتفق كلها مع ما ذكرنا من أمر زهده وورعه وتقواه .

كما كان له دور فيما وقع بعد ذلك من أحداث في حياة جماعة المسلمين ، وكان ذلك الدور ترجانا لصادق إيمانه ، وكان بمثابة « التطبيق العملي » لما وصل إليه من آراء ، وما دعا إليه من فقه .

(١) البحر لقب لعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - وهو لم يشهد بدرا ، فالاستثناء في كلام الامام جابر استثناء منقطع .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ - الحلقة الأولى . ص ١١٤ .

وكان لجابر بن زيد - فضلا عن ذلك كله آثاره العلمية ، التي تتمثل فيما دون من كتب ، وما أنشأ من رسائل ، وإن كان معظم ذلك التراث العلمي الرائع لم يكتب له أن تحفظ أصوله ، إلا أن الإشارة إليه ، والحديث عنه ، كانا مما اثبتته مراجع الثقة من العلماء والمؤرخين - كما ان رواية من روى عنه - وأهمهم الامام الربيع بن حبيب في مسنده ، أكدت لنا إلى أي مدى كان ذلك التراث رائعا .

ومن الأخبار الثابتة التي رواها البخاري : في التاريخ الكبير ، كما رواها غيره من الثقة أن عبدالله بن عباس - الصحابي الجليل - كان يقول : «لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله . وفي رواية أخرى أنه كان يحيل سائله إلى تلميذه جابر» ويقول : «اسألوا جابر ابن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » ^(١).

وروى عن ابن عباس ايضا انه كان يسأله اناس من أهل البصرة ، وكان يبادرهم بقوله «كيف تسألونني وفيكم جابر بن زيد .» ^(٢) وقال محمد بن محبوب من علماء القرن الثالث للهجرة : «جابر اعلم من الحسن البصري ولكن جابرا لقوم والحسن للعامة »يعنى انه يعظمهم واما الفتوى فكانت لجابر خاصة . ^(٣)

ومما يروى ايضا ان عبدالله بن عمر الصحابي الجليل - رضى الله عنه - وصف جابر بن زيد « بأنه من فقهاء أهل البصرة البارزين » ^(٤) .

(١) البخاري التاريخ الكبير ج ١ ص ٢٠٤ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٨ ، ٧٢

(٢) الطبقات للدرجيني ص ٧٨ .

(٣) العقود الفضية ص ٩٦

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٩٣ .

قال العلامة ابن القيم في كتابه (اعلام الموقعين): بعدما ذكر المفتين من الصحابة ذكر التابعين وابتدأ بأهل المدينة وفقائها وثنى بمكة المكرمة وفقائها وثالث بالبصرة الغراء وذكر من فقهاها المفتين الموقعين عن رب العالمين (ابا الشعثاء جابر بن زيد) وقال انه معروف ثقة باجماع المحدثين والفقهاء. (١)

ومن المعلوم ان جابر بن زيد لم ينل تلك المكانة العلمية والعملية، إلا بما حرص عليه من التزود بالعلم، والتفقه في الدين، والتثبت من رواية الحديث، ومداومة حفظ كتاب الله الكريم، وتدارسه والعمل بمقتضاه.. عاش في البصرة كما عاش اكثر زملائه من كبار التابعين، ينشر العلم والمعرفة، في المساجد والجامع، ويبث الخلق الحميد بين الناس، ويدعو إلى التمسك بحبل الله المتين، والأخذ بعرى الدين الحنيف، والمحافظة على أصوله وفروعه. ويحل المشكلات والمعضلات التي تعرض للناس، حتى لقد قال إياس بن معاوية « ادركت أهل البصرة ومفتيهم جابر بن زيد، من أهل عمان» (٢).

ومما يدل على مكانته العلمية وطول باعه في ميدان الفتيا والاجتهاد أيضا ان عمرو بن دينار - وهو أحد العلماء النبغاء في البصرة - آنذاك - وأحد التابعين كان يذكر الإمام جابر بن زيد بقوله «مارأيت احداً أعلم بالفتوى من جابر بن زيد». (٣)

ومما يدل على تلك المكانة أن ابن عباس كان يطلب من سائليه ان يسألوا

(١) كتاب «اعلام الموقعين» .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى ص ٣٢ - تذكرة الحفاظ، للذهبي ج ١ ص ٦٨ ، ٧٢

(٣) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٨ - البخاري ، التاريخ الكبير ج ١ ق ٢ ص ٢٠٤ .

جابرًا ويقول : اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب
لوسعهم علمه» (١) .

وقد وصفه عبدالله بن عمر بن الخطاب بأنه من فقهاء البصرة
البارزين (٢) .

وهكذا نرى أن جابرًا - رحمه الله - قد اكتسب علمًا واسعاً واصبح ذا قدم
ثابتة في الدين - والفقه - واحتسب مكانة كبرى في العراق جعلته أهلاً
للفتوى في البصرة إلى جانب الحسن البصري الموجود آنذاك .

وكان الحسن البصري يثنى على جابر بن زيد ويصفه بالفقيه
العالم . (٣)

وكما كان جابر تلميذا لابن عباس وأنس بن مالك وعبدالله بن عمر ،
فقد صار - بعد أن تمكن من العلم - أحد كبار التابعين . ممن يتلقى عنهم
المسلمون أمور دينهم ، ويلتمسون لديهم الهداية . . كما كان شيخاً لكثيرين
من الاعلام . تلقوا عنه العلم ، ورووا عنه الاحاديث الصحاح
منهم : قتادة شيخ البخاري وأيوب ، وابن دينار ، وضام بن السائب
وحيان الأعرج ، وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (٤) وعنه روى
الربيع ابن حبيب مسنده المشهور في الحديث (٥) .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٦٨ .

(٢) السير للشماخي ص ٩٣ - الطبقات - للدرجيني ص ٧٨ .

(٣) البخاري - التاريخ الكبير ج ١ - ق ٢ ص ٢٠٤ - الذهبي - تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٨ .

(٤) على يحيى معمر : الاباضية في موكب التاريخ (١) ص ١٤٥ .

(٥) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

وهكذا كان جابر بن زيد عالماً وفقياً، تلقى العلم من منابعه الأولى :
عن الصحابة الاجلاء وقد وعى عنهم، وروى الحديث، وتفقه في الدين،
حتى حق له ان يحتل مكانة الفتيا، وان تروى عنه الاحاديث . . ثم كان له
بعد ذلك مواقف فيما جد في حياة المسلمين من احداث ، ومانجم من
فتن . . ولم يصدر في كل مواقفه إلا عما كان يؤمن به ويعمل من أجله،
ألا وهو كتاب الله وحبله المتين وسنة رسوله الأمين - عليه أفضل الصلاة
وازكى التسليم -

قال ابو سفيان - محبوب بن الرحيل ، كانت جدة أبي يقال لها ام
الرحيل . . والرحيل أبي وبه يسمى واسم جدى العنبر، وكانت ام
الرحيل قد كبرت حتى لم تطق الصيام، قال فأتى بها ابنها الرحيل
والعنبر الى جابر فقالا: يا ابا الشعثاء إن ام الرحيل قد كبرت فلا تطيق
الصيام وكما ترى انها لعل قيد الحياة بعد. قال : تصوما عنها - قال :
فتنافسنا في ذلك قال : وكان الرحيل اكبر من العنبر فصام عنها الرحيل،
فلما كان في العام الثاني اتياه فاعلماه أيضا بحالها فقال : ماكنت امرتك به
في العام الاول؟ قالوا : - امرتنا ان نصوم عنها قال فأطعما عنها فأطعم
عنها العنبر (١).

فانظر كيف يرغب في فعل الخير وكيف يبحث من يسأله في المسارعة الى
طاعة الله والبر بالفقراء.

تلك واحدة . . أما الثانية . . فقد رأى أحد الحجة يصلى فوق الكعبة،

(١) الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٦ .

فنادى - أى أن جابر بن زيد قد نادى : (يا من يصلي فوق الكعبة لاقبله لك) (١) .

ولقد كان ابن عباس في ناصية من المسجد، فسمعه، فقال: إن كان جابر بن زيد في شيء من البلد فهذا قول منه .

قالت هند بنت المهلب : كان جابر بن زيد أشد انقطاعاً إلى والى أمي، وكان لا يعلم شيئاً يقربني الى الله تعالى الا وامرني به، ولا شيئاً يباعدي عنه الا ونهاني عنه، وكان ليأمرني أين يوضع الخمار من جبهة المرأة المسلمة؟ وتضع يدها على الجبهة، لتبين موضع الخمار من جبهة المرأة.

وعلى ذلك يمكن لنا ان نقرر باطمئنان ان جابر بن زيد كان تابعياً جليلاً فضلاً عن انه واحد ممن كانت له مكانته في الافتاء، وكان لآراءه في الدين اعتبارها. لذا كان الذين عرفوا فيما بعد - بالاباضية - يصدرون عن رأيه في جميع أمورهم كما كان يصدر عنه كثير من غيرهم من المسلمين. (٢)

فهو من التابعين باحسان. . من الذين كان لهم دور كبير في تأصيل الفقه الإسلامي، ويتلخص هذا الدور في عمليتين (٣) :

أولهما : جمع المروي والثابت من احاديث الرسول - عليه الصلاة والسلام - وكذلك جمع المروي من اقوال الصحابة وإجتهداتهم. . وكان من يسر ذلك أن كل تابعي كان تلميذاً لصحابي أو أكثر، ينقل علمه إلى من بعده.

(١) الاباضية في موكب التاريخ ج الاول ص ١٤٩ .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى ص ١٤٥ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية للاستاذ / محمد ابو زهرة ج ١ ص ٢٩ وما بعدها .

وقد علمنا ان جابر بن زيد، كان ممن تتلمذ على عبدالله عباس ،
وعبدالله بن عمر، والسيدة عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنهم اجمعين -
ومن المعلوم بمكان أن يروى عن جميع هؤلاء ما يحفظون من احاديث
الرسول - ﷺ - . . بل كان حرص جابر على ذلك منقطع النظير . . كان
يسأل ويلح في السؤال ، ويتطرق إلى مختلف النواحي في رغبة صادقة ،
ومخلصة إلى الإحاطة الشاملة، وقد مر بك حديثه مع أم المؤمنين عائشة
رضي الله عنها عندما سألها عن أخص خصائص الرسول - ﷺ - حرصا
منه - رضي الله عنه - على نقل السنة وجمعها لكي يكون المسلم مقتديا به
صلوات الله وسلامه عليه في جميع أعماله دقيقها وجليلها .

وثاني العاملين : تجسيده لما قام به التابعون من إجتهدات فيما لم يعرف
عن الصحابة رأى فيه ، وليس فيه نص من قرآن أو سنة، فكان لهم
إجتهد وراء ما ينقلون من احاديث وفتاوى ، دون أن يخرج عن منهاج
الصحابة .

على ان الأخذ - أو القول - بالرأى . . والذي عرف فعليا بعد الإجتهد
ووضعت له اقيسة وأصول ومناهج - هذا القول بالرأى اختلف منهجه في
عصر التابعين . « لان التابعين في إجتهداهم منهم من كان يفتى برأيه، غير
متوقف إذا لم يجد نصا ولا فتوى صحابى ، ومنهم من لا ينطلق في الاجتهد
إن لم يجد ما يعتمد عليه من السنة أو القرآن الكريم . . وبذلك وجد نوعان
من الفقه ، : فقه الرأي وفقه الأثر ، واشتهر فريق من الفقهاء بانهم فقهاء
رأى ، وآخرون بأنهم فقهاء أثر» (١) .

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية ص ٣١ - ٣٢ .

وهنا يظهر سؤالان :

السؤال الأول : من أي الفريقين كان جابر ابن زيد؟

السؤال الثاني : هل لنا ان نتابع في ذلك بعض من كتبوا في هذا المجال ، إذ وضعوا قاعدة عامة ، فحواها ان أهل الحديث اكثرهم بالحجاز ، واكثر أهل الرأي كانوا بالعراق؟

إنهم يستندون في ذلك إلى ماكان يرمي به فقهاء المدينة سواهم ، وبخاصة من في العراق - ببعدهم عن السنة - وانهم يفتون في الدين بأرائهم .

والجواب على السؤالين - حاشا لله ان يكون الأمر كذلك فليس هناك بين الفريقين من يشك في الأخذ بالسنة ، بل كلاهما يأخذ بها ويقبلها ويلتزم بالأخذ بها ان ثبتت . . أما اساس الاختلاف ، فهو انما يرجع الى مقدار الأخذ بالرأي إلا اضطراراً وفي حالة الضرورة فقط . . اما أهل الرأي فإنهم يكثرون من الافتاء في المسائل بالرأي ، مادام لم يصح لديهم حديث في الموضوع الذي يجتهد فيه .

ومع ذلك فإن «المدينة المنورة» كان بها من التابعين الذين أخذوا بالحديث أو السنة وكذلك الذين أخذوا بالرأي . . بل كان فيها من هؤلاء الذين أخذوا بالرأي عدد كبير ^(١) .

ولقد كان الامام جابر بن زيد من التابعين الذين اقاموا بالعراق وتصدروا بحق للفتيا - وهم لها أهل - وذلك إلى جانب روايته للحديث - أي فهو من أهل الرأي ايضاً - الذين يصدرن في اقضيتهم وآرائهم عن علم صحيح بما ورد في كتاب الله الكريم ، وبما ثبت من سنة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام وسيرة اصحابه الأخيار . ثم يقيس مستلهماً وجه الحق وحده .

(١) المرجع السابق ص ٣٢ يعمض تصرف .

المبحث الرابع حياته العملية

لقد نشأ الإمام جابر بعمان وتلقى العلم في البصرة والحجاز ولكنه عاش معظم حياته في البصرة وقد سار فيها سيرة أهل العلم الكرام، وقد تشعب نشاطه الى ناحيتين :

الأولى: تفقهه في الدين وعمله بالفتيا. والناحية الثانية : دوره كإمام لمذهب، كان لاتباعه موقف مما جرى من احداث وفتن، وكانت لهم دعوة رأوا في متابعة آرائه - رضي الله عنه - الحل الأمثل الذي يتفق مع الكتاب العزيز والثابت من السنة المطهرة.

ولكن الذي يهمنا في هذه المبحث هو نشاطه العملي، أما دعوته ومذهبه فمن أراد الإطلاع على ذلك، فعليه ان يرجع إلى كتابنا «الامام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة» وبالذات فبإمكانه الرجوع إلى البابين الثاني والثالث من الكتاب المذكور.

اما فيما عدا الدعوة والمذهب واقصد بذلك سيرته وحياته وموقفه فإستكمالا للصورة التي اشرنا اليها نورد بعضا من ملامحها.

من المعروف عن جابر بن زيد انه عاش في البصرة حياة زهد وتقشف وانصراف عن هو الدنيا وترفها - وكان يقول: سألت ربي ثلاثا فاعطانيهن، سألته زوجة مؤمنة، وراحلة صالحة، ورزقا كفافاً يوماً

يوم (١) .

وكان يخاطب أصحابه فيقول : ليس منكم اغنى منى ، ليس عندي درهم وليس على دين . (٢)

ويذكر ابن سيرين ان ابا الشعثاء كان مسلماً عند الدينار والدراهم (٣) أي ان همه لم يكن منصرفاً إلى جمع الدنانير بل إلى الباقيات الصالحات فهن عند الله خير وابقى .

وقال أبو سفيان محبوب بن الرحيل - رحمه الله : - «خرجت آمنة زوج جابر إلى «مكة المكرمة» ذات سنة من السنين . ، قال : فلما رجعت سألتها عن كريها (٤) فذكرت منه سوء الصحبة ولم تثن عليه بخير ، قال فخرج إليه جابر فادخله داره ، فأمر ان يشتري لإبله علفاً وعولج له طعام ، فلما تغذى خرج به إلى السوق ، فاشترى له ثوبين فكساهما إياه ، ودفع إليه ماكان مع آمنة وزوجه من قربة وأداة وغير ذلك من آلات السفر ، قال : فقالت له آمنة : أخبرتك يا جابر بسوء الصحبة ففعلت معه من الاحسان ما أرى ! قال : أفنكا فيه بمثل فعله فنكون مثله ؟ لا بل نكافيه بالخير خيراً وبالإساءة إحساناً . (٥)

فانظر - هداك الله - مدى تمسك الإمام جابر بهدى القرآن الكريم حيث دفعه بالتى هى أحسن مستنيراً بقول الله تعالى

(١) راجع كتاب الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢١٣ وايضا السير للشماخي ص ٧٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١٤ .

(٣) الطبقات لابن سعد ج ٧ ص ١٣١ .

(٤) الكري بتشديد الباء المكاري .

(٥) الطبقات للدرجيني ص ٢١٠ - ٢١١ ، العقود الفضية ص ٩٦ - ٩٧ .

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إِدفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ (١) .

كما عرف عنه الزهد والتقوى والورع والخشية، ومما يدلنا على ذلك انه اصاب الناس على عهده ظلمة وريح وبرق ورعد، ففزع الناس إلى المساجد فخرج أبو الشعثاء إلى أحدها فجلس فيه يذكر الله، والناس في تضرع وضجة وخوف، فلما أنجلت تلك الريح والظلمة أخذ الناس ينصرفون ، فقام مخاطباً لهم إنما خفتم طي الدنيا والافضاء إلى الآخرة؟ قالوا : نعم قال : لقد خفتم أمراً عظيماً، عليكم ان تخافوا فيلإى اين تذهبون الآن ؟ قالوا : إلى منازلنا، قال : لقد خفتم أمراً عظيماً ففزعتم إلى الدعاء، ولوجآء ماخفتم لم يغن عنكم ماكنتم فيه شيئاً، فالان إزرد الله عليكم دنياكم فاعملوا حين قبول العمل واما ماكنتم فيه فلو كان الأمر ماخفتموه لم يغن عنكم دعاؤكم من الله شيئاً » . (٢)

ولقد اطلع أبو الشعثاء يوماً ، فإذا برجل من الاكارين يبكي، ويصيح فقال : مالك : ويحك ؟ فقال إن فتیان دريكم هذا نزعوا منى قنوى (٣) نخل جئت بهما إلى صاحب الأرض، فأخاف ألا يصدقني، فقال : فبعث جابر إلى رجل من أصحابه له نخل، فأخذ قنوين فدفعهما إليه . (٤)

ولقد كان جابر بن زيد يحج كل سنة فلما كان ذا سنة من السنين بعث إليه والي (٥) البصرة ان لا يبرح العام ، فإن الناس إليه محتاجون، فقال :

(١) سورة فصلت آيه (٣٤) .

(٢) الطبقات للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٦ .

(٣) القنوى ، العذق بها فيه الرطب .

(٤) الطبقات ج ٢ ص ٢١١

(٥) هو الحجاج بن يوسف الثقفي .

لاافعل ، فحبسه فلما كان غرة ذي الحجة جاءه الناس فقالوا : اصلحك الله ، قد هل هلال ذي الحجة ، فأرسل إليه واخرجه من السجن فأتى إلى داره وله ناقة قد اعدّها للخروج فأخذ يشد عليها الرحل ويقول : «مايفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها» ثم قال ياأمنة اعندك شيء؟ قالت نعم قال : فاجعليه في جرابي - أي في متاعي - فهيأت له زاده ثم قال : من سألك فلا تخبريه بمسيري يومي هذا . فخرج من ليلته فانتهى إلى عرفات والناس بالموقف ، فضربت الناقة بجراناها الأرض وتجلجلت من شدة الاعياء والتعب ، فقال من رآها على تلك الحال ذكها ذكها ياأبا الشعثاء . قال : حقيق لناقاة رأت هلال ذي الحجة بالبصرة ان تفعل هذا ثم سلمها الله وكان قد سافر عليها أربعاً وعشرين سافراً في حجة وعمرة ^(١)

ولقد صور العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي - رحمه الله - هذا الحدث أروع تصوير في كتابه القيم (سلك الدرر الحاوي غرر الأثر) عندما قال :

ومنهم سليل زيد جابر وفضله في العلم أمر شاهر
وهو سراج الدين بحر العلم قد اثنى عليه البحر ^(٢) علماً ورشد
وقال من أهل العراق اعجب كيف لنا إحتاجوا وعنه ذهبوا

(١) الأباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٩ وأيضاً كتاب «الطبقات» للدرجيني ج ٢ ص ٢٠٨

(٢) يعني عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما .

كان يحج جابر كل سنة
حتى رأى هلال شهر الحج
وانما سجنه من أجل ما
فسار حينما رأى الهللا
وادرك الناس وهم في عرفه
تجلجت ناقته هناك
والله قد سلمها بفضله
وعامل البصرة عاماً سجنه
فقال لابد لنا من حج
إليه يحتاج الوري لتعلما
وبادر الاحرام والإهلالا
والكل قد لازم منهم موقفه
وشارفت من سيرها الهلاك
وجابر لا غاية لفضله^(١)

ولقد كان من حرصه - رحمه الله - على عدم تولى أي منصب رسمي ان
الحجاج بن يوسف عرض عليه ان يتولى أمر القضاء فتهرب من ذلك بل
وعمد إلى الحيلة حتى لا يضطر إلى القبول. ^(٢)

ولقد روي أنه وفد فيما كان يفد فيه إلى يزيد بن أبي مسلم - كاتب
الحجاج - وكان به خاصاً. فادخله يزيد على الحجاج، فكان فيما كان
يسأله ان قال له اتقراً؟ قال نعم. قال أتقرض؟ قال: نعم. فعجب
الحجاج ثم قال: ما ينبغي لنا ان نؤثر بك أحداً بل نجعلك قاضياً بين
المسلمين. قال جابر: أي اضعف من ذلك قال: وما بلغ ضعفك؟
قال: يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن ان اصلح بينهما. قال: ان هذا
لهو الضعف. . ولم يو له بالفعل القضاء. ^(٣)

(١) سلك الدرر ، ج ٢ ص ٥٦١

(٢) الاباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٦ ، السير للشماخي ص ٧٤ .

(٣) الاباضية في موكب التاريخ ج ١ ص ١٤٦ . السير للشماخي ص ٧٤ .

فيا ترى - ماسبب إمتناع جابر عن تولى القضاء ؟ ومن المعلوم انه من أحسن الناس لهذا المنصب واصلحه له ، ولم يكن به شيء من الضعف الذي وصف به نفسه إلا تواضعاً منه رضي الله عنه ، وما أظن أيضاً ان ذلك يرجع إلى المنهاج الذي أختاره لنفسه في دعوته . . فلقد كان منهاجه يقوم على عدم مواجهة من ييدهم الأمر خوفاً من البطش به ، ولقد كان شديد الحرص على سرية معتقده ، في وقت إختلطت فيه العقائد بشوائب ما انزل الله بها من سلطان ولقد كان - رحمه الله - يريد أولاً تنوير الناس من أجل تصحيح معتقدهم بالحكمة والموعظة الحسنة والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق والرشاد ، ومثل هذا العمل من الصعوبة بمكان ، لأن النفس جبلت على حب الملذات .

ويتبين لنا من تلك الوقائع والاحداث التي أوردناها انه كان في حياته زاهداً متقشفاً يرضى من حياته بالقليل ، لقد انصرفت نفسه عن عرض الدنيا تماماً ولم يشغل قلبه بغير أمر الآخرة . فهو في دنياه من اغنى خلق الله ليس مديناً لأحد ولا طامعاً في فضل أحد . . وماذا يريد من دنياه أكثر مما سأل ربه فاعطاه الزوجة الصالحة المؤمنة ، والرسول - ﷺ - يقول «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» ^(١) وسأل ربه الرضا والعيش الكفاف ، وفي الحديث عن النبي - ﷺ - انه قال «أرض بما قسم الله تكن اغنى الناس ، انه بذلك هو الغنى القانع الشاكر وانه اذكى من ان تنطلي عليه زخرفة بدعة ظاهرة أو خافية واخشى الله من أن يرى منكراً ويسكت عنه ، او اشجع من ان يؤيد عمل الظالمين ويرضى عن سلوك الطاغين ، واحرص على أداء رسالة الإسلام من أن يكل إلى التعليم في كل مكان ^(٢) .

(١) رواه مسلم في صحيحه .

(٢) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ١٤٩ .

ثم انه في حياته يسلك سلوك الرجل الذي أمن فصدق إيمانه ، يعفو عند المقدرة ، ويصفح عمن اساء إليه ، ويقابل السيئة بالحسنة . إمتلأ قلبه بالايان بالله وافاض على لسانه دعوة مخلصه إلى دين الله ، وعلى جوارحه عملاً صالحاً بما يرضي الله .

كان يدعو ذوي السلطة بالتزام السنة ، واتباع سيرة السلف الصالح ، وإقامة العدل بين الناس وتنفيذ شرع الله كما جاء به القرآن الكريم وبيئته السنة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة وازكى السلام .

وهذه الدعوة هي اكره مايكرهه الظلمة والمستبدون في كل عصر وفي كل مصر ، ولذلك قد بذلوا بما لديهم من قوة واستعملوا كل وسيلة لكي يحولوا دون هذه الدعوة ويمنعوها من أن تبلغ الناس على حقيقتها وصحتها ووضوحها لكي تبقى الأمة راتعة مستسلمة ويستمر الشعب صابراً منتظراً ، ويسود الجميع القناعة والصبر ، ولكن هيهات ان يسكت حملة الحق عن الدعوة إليه ، وان تنطمس نور الحقيقة . لان رسول الله - ﷺ يقول معلماً أمته (ان افضل الجهاد كلمة حق عند إمام جائر يقتل بها صاحبها) . وكان رحمه الله يعطف على الفقير ويغيث الملهوف ويدعو الناس - في كل وقت إلى الله ويدعوهم إلى الرجوع إليه كلما حز بهم الأمر ، وإلى مداومة العمل الصالح حتى لا يبؤوا بالخسران .

وكان جابر بن زيد - فضلاً عن ذلك كله - قوياً في الحق شديداً فيما يتصل بأمر الله ، لا يمالئ ولا يجيد ، وإنما هي الدعوة الصادقة ، وهو الحق الواضح ، يقوله مهما حزب الأمر .

كما نعلم أنه رغم إقامته بالبصرة، إلا أنه كان شديد التعلق بالحجاز، كثير الإرتحال إليها، فلا يمضي عام إلا وشد الرحال إما معتمراً أو حاجاً . . ثم ليلتقي أثناء ذلك بكبار الصحابة والتابعين . . يأخذ عنهم ويأخذون عنه، فلا تنقطع بذلك صلته بهؤلاء العلماء الاجلاء الذين تلقوا العلم بدينهم من رسول الله - ﷺ - فكانوا بذلك الأئمة والهداة - رضوان الله عليهم أجمعين - (١) .

(١) الامام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة من مؤلفاتنا ص ٤٧ - ٤٨ .

المبحث الخامس من آثاره الخالدة

ان للإمام جابر بن زيد مكانة بين فقهاء الإسلام ومحدثيه إلى جانب انه راو للحديث ومن التابعين الثقة.

ومما يدل على تلك المكانة ما نقل عنه من احاديث وفتاوى ومدونات لانه - رضى الله عنه - لم يكتف في روايته للحديث بالرواية الشفوية بل دون ماوعى من احاديث في كتابه المسمى (ديوان جابر) ولهذا الديوان رنة في صدر الإسلام وكان موضع تنافس بين دور الكتب الإسلامية، واستطاعت مكتبة بغداد ان تحصل عليه وان تبخل به عن غيرها من المكتبات، ولم تنقل منه إلا نسخة واحدة كافح أحد عباقرة (جبل نقوسة) للحصول عليها في قصة ليس محل إيرادها في هذا الكتاب، فإن كان هذا الديوان قد ضاع مع ضياع كنوز خلفها السلف الصالح من اوائل هذه الامة فإن ما نقل عنه من أحاديث قد شاء الله ان يحفظ، وان يصل إلينا بجهود مضيئة بذلها تلميذه الإمام الربيع بن حبيب الفراهيدي البصري العماني .^(١) في مسنده المعروف بالجامع الصحيح ذي السلسلة الذهبية في احاديث رسول البرية - ﷺ - .

ويروى ان الإمام جابرا قد ضمن هذا الديوان آراءه وفتاويه في أمور

(١) البصري نسبة الى البصرة لانه هاجر اليها من اجل العلم لكونها كانت مركز اشعاع في ذلك الوقت أمّا هو فعُماني المولد والنشأة

العقيدة ويقال انه من الضخامة بمكان حيث يعجز عن حمله البعير ، لأنه يقع في عشرة أجزاء كبيرة ^(١) وكانت نسخة منه موجودة في إحدى مكتبات بغداد الكبرى في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد ^(٢)

ويذكر ايضا ان نسخة من الديوان المذكور قد بقيت بعد وفاته في حوزة تلميذه الكبير أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، ثم توارثتها اساطين الاباضية في البصرة .

ولقد استنسخت مخطوطات الديوان في عهده بمكة المكرمة . ^(٣)

ويعلق أحد الباحثين وهو الدكتور عوض خليفات في كتابه القيم (نشأة الحركة الاباضية) على ماتقدم بقوله «إذا صحت هذه المعلومات حول ديوان جابر فإن الباحث يستطيع ان يقرر بان الإباضية كانت أول المدارس الإسلامية التي عنت بتدوين الحديث ، ولعل بعض المؤلفات - والتي لاتزال مخطوطة - والمروية عن جابر بن زيد أو المنسوبة إليه - إنما هي قطع من هذا الكتاب الكبير» . ^(٤)

وما قاله الدكتور عوض خليفات هو الحق بعينه من ان الإباضية كانت أول المدارس الإسلامية التي اهتمت بتدوين السنة النبوية . وهذه الحقيقة يؤكدها أمران :

(١) اللعة المرضية للإمام السالمي ص ١٨٤ - الاباضية في موكب التاريخ ص ١٤٩ ج ١

(٢) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩ .

(٣) السير ورقة ٦١ - ٣ - السير ابو زكريا ص ٣٠ - اللعة المرضية للسالمي ص ١٨٤ .

(٤) نشأة الحركة الاباضية ص ٨٩ .

الأمر الأول : مسند الربيع بن حبيب ، حيث وصل إلينا وهو يضم الأحاديث النبوية التي رويت عن الإمام جابر ابن زيد ، وهو من اقدم كتب الحديث وصدقها رواية .

الأمر الثاني : المتأمل في رسائل الإمام جابر يجد انها تكشف عن فقيه كبير حريص على تسجيل فقهه وتقديم اسانيده والشاهد على ذلك انه رأى يوماً احد تلامذته يكتب شيئاً اثناء الدرس فنهاه ان يكتب شيئاً غير آية محكمة أو سنة متبعة، اما رأيه فلا عبرة به لأنه قد يجد في المساء حجة اقوى من التي يستند إليها في الصباح، فيرجع عنه إلى ما ثبت بالدليل الأقوى خوفاً من أن يذهب الطالب بما كتب ينشر الباطل في الناس^(١) وهذا ما لا يريده الإمام جابر - رضي الله عنه -

والجامع الصحيح لمسند الإمام الربيع بن حبيب من اصح كتب الحديث سنداً واعلاها إسناداً وأرقاها مستنداً كما يصفه شارحه وهو العلامة نور الدين السالمي - رحمه الله - حيث يقول «فما احق منه ان يوصف بالعزيز، وما أجدر سنده ان يدعى بسلاسل الابريز لشهرة رجاله بالفقه الواسع، والعلم النافع، والورع الكامل، والفضل الشامل، والعدل والامانة، والضبط والصيانة»^(٢) .

(١) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الاولى راجع ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٢) شرح الجامع الصحيح الجزء الاول ص ٢ .

والإمام الربيع بن حبيب - صاحب المسند - قد رحل في صدر شبابه إلى البصرة ، حيث صحب أبا عبيدة فتعلم عليه وأخذ عنه ، كما أخذ عن كثيرين من علماء البصرة وقد رجع إلى عمان في أخريات أيامه ^(١) . . . وقد ادرك الربيع جابر بن زيد لكنه أخذ القليل من علمه حتى قيل «ماقل ماحمل عنه واكثر ماحمل من العلم عن ضمام عن جابر . . » وكان الربيع يقول أخذت العلم عن ثلاثة أبي عبيدة وأبي نوح وضمام ^(٢)

وكان الربيع معروفًا بالتقوى والورع ، ومما يشهد لذلك ان اناسا من أهل البصرة قالوا : انظروا لنا رجلاً ورعاً قريب الاسناد حتى نكتب عنه فنظروا فلم يجدوا غير الربيع ، فطلبوا منه ذلك وكان يروي لهم عن ضمام او عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس - رضي الله عنهم - ^(٣)

ويتبين من ذلك ان الربيع كان يعيش في أواخر القرن الأول الهجري ، وطالت حياته إلى العقد الثامن من القرن الثاني الهجري ، وقد ادرك وصاحب الكثير من كبار التابعين ومن ثم فقد طالت صحبته لتلميذ جابر وهو أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي الذي توفي في ولاية ابي جعفر .

وأبو عبيدة قد تعلم العلوم وعلمها ورتب روايات الحديث واحكمها ، وقيل ان ابا عبيدة ادرك من ادركه جابر بن زيد فرواياته عن جابر رواية تابعي عن تابعي . ^(٤)

(١) الامام جابر بن زيد وآثاره في الدعوة من مؤلفاتنا ص ٥٣

(٢) شرح الجامع الصحيح للعلامة نور الدين السالمي ص ٤ .

(٣) المرجع السابق ص ٥ .

(٤) ازالة الوعناء للشيخ / سالم بن حمود السبائي ص ٤٠ - ٤١ .

وهكذا نجد ان رواية الربيع انما جاءت عن طريق أبي عبيدة الذي روى عن شيخه جابر بن زيد . . وإن كانت قد وردت احاديث قد رواها أبو عبيدة عن آخرين غير جابر فتلك قلة قليلة لكن معظم ماورد في المسند هو رواية جابر بن زيد عن أحد الصحابة (١)

وعلى ذلك فدور جابر بن زيد هو دور الرواية الثقة، الذي حفظ الأحاديث ونقلها في امانة الرجل الورع التقى، والفقيه الحريص الحكيم . ويضم المسند هذا مايزيد على سبعمائة حديث من الأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ باسانيدها الموثوق بها، ولهذا المسند سبقه . . فقد أوردت كتب الأحاديث الأخرى اكثر ماتضمنه المسند من الأحاديث بروايات واسانيد أخرى مما أكد الثقة في مسند الربيع وروايته عن جابر بن زيد .

وقد ذكر ائمة الحديث أن رتب الصحيح تتفاوت الاوصاف المقتضية التصحيح ، وأن من المرتبة العليا ما أطلق عليه بعض رجال الحديث انه أصح الاسانيد الثلاثة ، كسند الامام الربيع بن حبيب، وثلاثياته ابو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس، ورجال هذه السلسلة الربيعية من أوثق الرجال واحفظهم وأصدقهم، لم يشب إحاديثها شائبة أنكار ولاإنقطاع او اعضاء، لان الثلاثيات باجمعها موصولة باتصال إسنادها، ولم يسقط من اسانيدها الثلاثية أحد (٢)

ويسمى هذا الاسناد بسلسلة الذهب لان مثل هذه الاسانيد قصيرة

(١) جابر بن زيد واثاره في الدعوة ص ٥٤ .

(٢) عز الدين التوخى من مقدمته لشرح مسند الربيع ص ٥ بتصرف .

السند وقريبة الاتصال بالينبوع المحمدي، واشتهر رجالها بقوة الحفظ والضبط وكمال الصدق والصيانة والامانة ^(١) ويشبه سلسلة سند الامام الربيع سند الزهري عن سالم بن عبدالله بن عمر عن أبيه وسند مالك عن نافع بن عمر وهو قول البخاري ^(٢)

وعلى ذلك فإن ثلاثيات الربيع بن حبيب الازدي واحاديثها مسندة من أصح الأحاديث رواية واعلاها سنداً، ورجال سلسلة الثلاثية حلقات هم كما ذكرنا، أبو عبيدة التميمي، وجابر بن زيد الازدي، وبحر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس، شيخ جابر بن زيد وغيره من الصحابة، وهم باجمعهم مشهورون بالحفظ والضبط والامانة.

اما مسند الربيع فقد تداوله تلاميذه مخطوطاً، وتعددت نسخه، ولم يكن في أول الأمر مرتباً أو مصنفاً على نحو موضوعي، بل كان جامعاً للأحاديث باسانيدها وتحريروا نصوصها.

وقد سخر الله عزوجل الامام ابا يعقوب يوسف بن إبراهيم السدراتي الوارجلاني من ارض وارجلان بأرض المغرب لإعادة ترتيب المسند المذكور على نحو منهجي جمع الاحاديث مرتبة حسب ابواب الفقه المعروفة على النحو الذي وصل الينا. ^(٣)

(١) المرجع السابق ص ٩

(٢) المرجع السابق ص ٥ بتصرف .

(٣) جابر بن زيد واثاره في الدعوة ص ٥٤-٥٥ .

ولقد قام العلامة الإمام نور الدين السالمي ^(١) - رحمه الله - فشرح من هذا المسند الأجزاء الثلاثة منه شرحاً نفيساً قيماً، حيث لم يتمكن - رضي الله عنه - من شرح الجزء الرابع إذ عاجله الأجل المحتوم. والأمر لله وحده.

وقد نشر هذا الشرح القيم بعدة طبعات بعد ان صححه وعلق عليه عضو المجمع العلمي بدمشق الاستاذ عز الدين التنوخي، اثابه الله جزاء ماقدمه للدين والعلم واللغة من يد بيضاء امينة.

اما فتاوى الامام جابر فهي كثيرة وعديدة، ليس المقام محلاً لسردها، وقد ذكرنا امثلة من تلك الفتاوى القيمة في كتابنا «الامام جابر بن زيد واثاره في الدعوة» .

اما بالنسبة لإقامة جابر بن زيد في عمان فلقد أوردت بعض الروايات انه - رضى الله عنه - كان قد أبعد في أخريات ايامه من البصرة إلى عمان، علماً ان نشأته الأولى - كما بينا - انها كانت فيها، والروايات تجمع على انه عاد بعد فترة من إبعاده إلى البصرة ومات فيها.

(١) الإمام نور الدين السالمي ، هو عبدالله بن حميد السالمي . من كبار علماء عمان النبغاء المجدين، من علماء القرن الرابع عشر الهجري، إذ كانت وفاته - رحمه الله - سنة ألف وثلاثمائة واثنين وثلاثين هجرية - على صاحبها افضل الصلاة والسلام .

المبحث السادس

جابر بن زيد في ذمة الله

تختلف المصادر حول تاريخ وفاته، حيث يذكر بعض الرواة انه توفي في نفس الاسبوع الذي توفي فيه الصحابي الجليل انس بن مالك - رضى الله عنه - وقد توفي الأخير عام ثلاث وتسعين هجرية ^(١) ويرى البعض الآخر انه توفي عام مائة وثلاث هجرية أو في عام مائة وأربع هجرية بينما يحدد الشماخي - رحمه الله - تاريخ وفاته في عام ستة وتسعين هجرية ^(٢).

والذي يظهر أن وفاته كانت حوالي عام ثلاثة وتسعين هجرية، لأن أغلب الرواة حددوا ذلك التاريخ فضلاً على انه جاء على السنة رواة الحديث الذين يهتمون إلى حد كبير بحياة كل محدث وتاريخ وفاته، وكان جابر أحد هؤلاء المحدثين. ^(٣)

وتذكر كتب التاريخ انه لما حضرت جابر بن زيد الوفاة أتاه ثابت البناني. وقال : يا ابا الشعثاء هل تشتهي شيئاً ؟ قال : اني لا اشتهى إلا ان ألقى الحسن قبل ان أموت قال : فخرج ثابت البناني فدخل على الحسن البصري فأعلمه بقول جابر بن زيد ، قال : وكان الحسن اذ ذاك

(١) الجامع الصحيح لمسند الامام الربيع ج ١ ص ١٠٢

(٢) السير للشماخي ص ٧٧ .

(٣) نشأة الحركة الاباضية ص ١٠٢ .

مستخفياً فقال : كيف لي بذلك؟ قال إركب بغلتي على السرج وانا أردف خلفك؟ واعطيك طيلساني، وأرجو أن لا يعرض لنا . قال : ففعل ، ودخل على أبي الشعثاء وهو مضطجع فانكب عليه الحسن وهو يقول يا ابا الشعثاء قل لاله إلا الله ، فرفع جابر عينيه فقال : أعوذ بالله ، من غدو أو رواح إلى النار فقال : له الحسن : يا ابا الشعثاء قل لاله إلا الله ، قال فقال : اعوذ بالله من غدو أو رواح الى النار . ثم قال يا ابا سعيد «يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن أمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» ^(١) قال فقال الحسن «هذا والله الفقيه العالم» ثم قال : يا أبا سعيد حدثني بحديث ترويه عن رسول الله - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده برداً» فقال جابر : الله أكبر ، والله اني لأجد برداً على كبدي ^(٢) . ثم صعدت الروح إلى بارئها ، إلى مستقر رحمته ، إلى الحياة السرمدية الخالدة التي لا يفنى دوامها . ولا ينقطع نعيمها .

ويروى انه لما مات جابر بن زيد بلغ موته انس بن مالك ^(٣) فقال : «مات اعلم من على ظهر الأرض ، أو قال : مات خير أهل الأرض» ^(٤)

وقد ذكر صاحب كتاب طبقات المشايخ أبو العباس : «أنه لما مات جابر بن زيد أتى قتادة وهو إذ ذاك قد عمي - أي قتادة وقال ادنوني من قبره قال : فادنوه حتى وضع يده على قبره ، ثم قال : اليوم مات عالم «العرب» .» ^(٥) تلك صور مشرقة من حياة الامام جابر بن زيد - رحمه الله - بدأ من نشأته وحتى ان لقي ربه وهي تجسد حياة العلم والعمل والتقوى والقدوة والأسوة .

(١) سورة الانعام آية ١٥٨ .

(٢) الدرجيني ص ٢٠٦ طبقات المشايخ ج ٢ ص ٢٠٧ - العقود الفضية ص ١٠٠

(٣) وهذا الكلام يؤيد أن وفاة الإمام جابر كانت عام ثلاثة وتسعين هجرية ، لأن الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه كانت وفاته أي في نفس العام ونفس الأسبوع ولكنها كانت بعد وفاة الإمام جابر فليُنظر في ذلك

(٤) الاباضية في موكب التاريخ الحلقة الأولى ص ٢٠٥ .

(٥) طبقات المشايخ لابي العباسي الدرجيني ج ٢ ص ٢٠٩ .

وقد كان لتلك الحياة - كما أشرنا من قبل الى جانبها العلمي تمثل فيما روى من حديث وما أدى من إجهاد، وما قام به من دعوة من أجل تبصير الناس بأمور دينهم وديناهم وإنقاذهم مما تردوا فيه من عقائد فاسدة وافكار دخيله، فرضها الجور والسلطة.

فكان له - رحمه الله - جهود جبارة من إظهار ما انطمس من أسس العقيدة الاسلامية الصحيحة، وابعاد ما التبس بها من معتقدات باطلة ما انزل الله بهامن سلطان.

وبجهوده هذه، وإخلاصه في دعوته حقق ذلك الفوز العظيم الذي كان جل همه تاركا نصب عينيه - رضي الله عنه - انه لاسعادة للبشرية إلا في استقامتها على منهج الله والسير على هدى نبيه - ﷺ - فهو كما عرف عنه - عند اتباعه وغيرهم - لا يتحل بدعوته تواضعا يغذى به جوعا إلى العظمة في نفسه. بل هو يؤكد مواقفه جميعها باعتبارها حقائق إسلامية تشكل مسئولية تبليغها وإعلانها كجزء من جوهر رسالته العظمى، إنها دعوة الله «ومن أحسن قولاً، ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين» (١)

لقد عاش - رضى الله عنه - وهو يستضيء ويضيء طريق الناس بنور القرآن الكريم، ويحث الأمة على التمسك به بامثال أمره وإجتنب نهيه قائلاً لهم «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» (٢).

ولقد جمع الله له من رؤية الحق ومعرفة الحقيقة، ورفعة النفس، وسلوك الطريقة ماشرقت به حياة اجيال تلو أجيال واضاءت به قلوب ملايين من البشرية «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (٣).

(١) سورة فصلت آية (٣٣)

(٢) سورة الحشر آية (٧)

(٣) سورة الجمعة آية (٤)



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تقديم	٧
تمهيد	٩
المبحث الأول : جابر بن زيد مولداً ونشأة	١٣
المبحث الثاني : جابر بن زيد وهجرته العلمية	١٦
المبحث الثالث : مكانته العلمية	٢٢
المبحث الرابع : حياته العملية	٣٠
المبحث الخامس : من أثاره الخالدة	٣٨
المبحث السادس : جابر بن زيد في ذمة الله	٤٥

